Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9) Issue (6) June (2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

وَاقِعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي وَسَائِلِ الإِعْلَامِ

أ.م.د. نُوري حَسَّاني عِلْوَانْ
كُلِّيَّةُ الآدَاب/ جَامِعَةُ الفُرَقِدَيْنِ

المُلَخَّص

يجب أن يخضع المذيعين والمراسلين لامتحانات لغوية صارمة قبل تعيينهم, على أن تشمل هذه الامتحانات النحو والصرف وقراءة النصوص غير المشكولة وضبط نصوص بالشكل التامّ في وقت محدّد، ويجب أن تشمل كذلك المهارات الأربع المعروفة: فهم المقروء وفهم المسموع والتحدّث (دون إعداد) بطلاقة خالية من الأخطاء وكتابة موضوع غير معدّ مضبوط بالشكل التامّ، وجدير بالذكر أنّ بعض المذيعين الناجحين في قراءة نشرة مُعَدّة كانوا يفشلون فشلا ذريعا عندما يحاورون ضيفا دون إعداد، إذ كانوا يرتكبون في هذه الحالة من الأخطاء اللغوية ما لا يرتكبه طلاب المرحلة الإعدادية, أو يرتدّون إلى العامية, فضلاً عن التأتأة والتلعثم والتوقّف بعد كلّ كلمة, وغير ذلك من سمات عدم الطلاقة، ولا بدَّ من ضرورة وجود دائرة من المراجعين المدققين اللغويين ذوي الأهلية، يتابعون نشرات الأخبار والبرامج والأعمال المترجمة، من أجل تصويب ما يرد فيها من أغلاط ولفت أنظار المسؤولين عنها مباشرة، عن طريق الاتصال بهم شفهياً وكتابياً، وتمكن استشارتهم في أثناء إعداد نشرات الأخبار، ويجب تقديم دروس تقوية، حضورها إلزامي، في مسائل اللغة العربية ونحوها وصرفها، يشارك في الاستماع إليها العاملون الرئيسيون في كل ما يتصل باللغة العربية، في الإذاعة والتلفزيون... من مذيعين ومقدمي برامج ومترجمي الأفلام والمسلسلات والبرامج الأجنبية، فضلاً عن إنتاج المصطلحات العربية وترويجها إعلاميا والمتابعة المستمرة لأنشطة المجامع اللغوية ومراكز التعريب وتوظيف جديدها إعلامياً حتى تجد هذه المفاهيم طريقها للذيوع الجماهيري، وتكون اللغة العربية أكثر مواكبة للتطور المعرفي والتقني للحضارة المعاصرة، ونعفي المستعملين والناطقين بالعربية من توظيف الألفاظ الأجنبية أو الأعجمية للتعبير عن هذه المنتجات الحديثة، ولا بدَّ من استثمار الثورة الإعلامية، ومن خلالها موجة البث الفضائي العربي في تعزيز الوحدة العربية الإسلامية والعمل على إعادة الانسجام للنسيج اللغوي، وتجنب الدعوات الرامية إلى توسيع هوة الخلاف العربي من خلال تمزيق النسيج اللغوي إلى مجموعة من اللهجات المتنافرة التي تبث الفرقة أكثر مما تجمع الشمل العربي، ولا بدَّ من تدريس مادة في الجامعة, إلزامية لطلبة قسمي اللغة العربية والإعلام واختيارية لغيرهم تتناول الأخطاء الشائعة نظريا وتطبيقيا. فالأخطاء الشائعة تلخّص بدقّة ما فشلت المدرسة والجامعة في تدريسه. ولهذا فالتركيز عليها قد يُصلح بعض ما أفسده الدهر!، والتأكيد على أن اللغة العربية من الثوابت العربية و الإسلامية، لذا يجب الدفع باللغة العربية لتكون في مصاف اللغات الدولية وأن تحتل مرتبة متقدمة.

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله ربِّ العالمين، حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجه ربّنا وعظيمِ سلطانه، وأُصلّي وأُسلّمُ على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ سيّدِنا محمّدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحابته الغرّ الميامين وعلى من سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أمَّا بعد...

تُمثّلُ اللغةُ عملةً أبديةً أزليةً متداوَلةً بين الناسِ، وإذا كانتِ الدولُ تُنشِئُ القوانينَ وتسنُّ التشريعاتِ لحمايةِ عملتِها من التزويرِ، فإنَّ صيانةَ اللغةِ من التدنيسِ والتدليسِ أولى وأوجبُ؛ لئلّا يتعرّضَ العلمُ والفكرُ اللذانِ تحملهما إلى الإفلاسِ. وتُعدُّ اللغةُ العربيّةُ، بوصفِها مكوّنًا ارتكازيًّا من مكوّناتِ الثقافةِ العربيّةِ، وعنوانَ هويّةِ المجتمعِ العربيِّ الإسلاميِّ، وقناةَ تواصُلٍ بين الأجيالِ تنقلُ آثارَ الأجدادِ إلى الأبناءِ وتحفظُ أمجادَ الأبناءِ للأحفادِ، ضرورةً ملحّةً في بناءِ مهاراتِ التواصلِ الإنسانيِّ، ومحورًا أساسًا في منظومةِ الثقافةِ لارتباطِها بجملةٍ من المكوّناتِ كالفكرِ والإبداعِ والتربيةِ والتراثِ وقيمِ المجتمعِ العربيِّ الإسلاميِّ.

ومع تطوّرِ وسائلِ الإعلامِ بمختلفِ مجالاتِها، وظهورِ شبكاتِ الاتصالِ وتكنولوجيا الفضاءِ، أصبحَ الحفاظُ على اللغةِ العربيّةِ ضرورةً أعظمَ مما كانَ من قبلُ، ولا سيّما في العالمِ الإسلاميّ. فإذا كانَ الحديثُ عن حوارِ الثقافاتِ والحضاراتِ، تعاظمتِ الحاجةُ إلى صيانةِ العربيّةِ بوصفِها لغةً رسميّةً من لغاتِ الاتصالاتِ الدوليّةِ.

وقد بلغَ واقعُ العربيّةِ في الإعلامِ العربيّ حدًّا يُدقُّ معه ناقوسُ الخطرِ في آذانِ العربِ، ولا سيّما الغيورينَ على لغتِهم الحارسينَ لها. ومن هنا جاءَ هذا البحثُ الموسومُ بـ (واقعِ اللغةِ العربيّةِ في وسائلِ الإعلامِ) لِيُلقي الضوءَ على واقعِ الممارسةِ الإعلاميّةِ، ويُبيّنَ الآثارَ السلبيةَ التي خلّفها الإعلامُ العربيُّ على لغتِه. فتناوَلَ البحثُ مفهومَ الإعلامِ، ثم عرَضَ اللغةَ في صورتِها العامةِ، وأهميّتَها وخصائصَها ووظائفَها، ثُمَّ استعرَضَ مكانةَ العربيّةِ وميزتَها، وتطرّقَ إلى أثرِ الإعلامِ في اكتسابِ المهاراتِ اللغويّةِ وتنميتِها.

وركّزَ البحثُ تركيزًا أساسًا على الواقعِ المؤسفِ للعربيّةِ في وسائلِ الإعلامِ في عالمِنا العربيّ والإسلاميّ، تشخيصًا للمشكلةِ وابتغاءً للوصولِ إلى رؤيةٍ مستقبليّةٍ لما ينبغي أن تكونَ عليه اللغةُ العربيّةُ في هذه الوسائلِ. ثم بيّنّا أهميةَ اللغةِ الإعلاميّةِ في عصرِ العولمةِ، وخُتِمَ البحثُ بأبرزِ الحلولِ والمقترحاتِ الكفيلةِ بنهضةِ العربيّةِ في الإعلامِ العربيّ، مع إيرادِ قائمةٍ بالمصادرِ والمراجعِ المعتمدةِ في هذا البحثِ.

تَعْرِيفُ الإِعْلَام

الإعلام في اللغة مصدر (أَعْلَمَ) المزيد بالهمزة، والثلاثي منه (عَلِمَ)، و((العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدل على أثر بالشيء يتميَّز به عن غيره، ومن ذلك العلامة وهي معروفة، يقال علمت على الشيء علامة))[١].

وتقول: ما علمت بخبرك بمعنى:ما شعرت به[٢]، وفي اللسان: ((عَلِمَ الرجل خبره وأحبَّ أن يَعْلَمَهُ أي يخبرَه ... وعلَّمَ نفسه وأعلَمَها وسمها بسيما الحرب ، ورجل مُعْلِمٌ إذا عُلِمَ مكانه في الحرب))[٣].

وجاء في المصباح المنير: ((العلم اليقين، يقال: عَلِمَ يَعْلَمُ إذا تيقَّن، وجاء بمعنى المعرفة أيضاً كما جاءت بمعناه، ضُمِّنَ كلُّ واحدٍ معنى الآخر لاشتراكهما في كون كلِّ واحدٍ منهما مسبوقا بالجهل، لأنَّ العلمَ وإنْ حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل[٤]... وأعلمت على كذا بالألف من الكتاب وغيره جعلت عليه علامة))[٥].

أما الإعلام في الإصطلاح فقد عرَّفه الدكتور متولي يوسف بقوله: ((هو توصيل الحقائق الصادقة إلى الناس كافة وإشراكهم في تذوق هذه الحقائق وتمكينهم من الإيمان بها))[٦].

وعرَّفه الدكتور إبراهيم إمام قائلاً: ((هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات))[٧].

وقال أيضاً: ((الإعلام وضع العبارة في شكل مفهوم ولا يمكن أن يكون عبثاً مجرداً من كلِّ غاية، وإنما يكون للدلالة على أمر يخص ذلك الشيء فيطلع عليه الناس لمعرفة مضمونه والوقوف على معناه))[٨].

وإذ يقوم الإعلام على الاتصال والمعرفة فهو يعني: ((تزويد الجماهير بأكبر قدر ممكن من المعلومات عبر الوسائل التقنية المختلفة))[٩]، وهذا التعريف يمنحه صفة جماهيرية، فيبدو الإعلام عملية بثّ معلومات ومعارف وآراء وأفكار وأحكام في الجمهور وبوسائل وطرائق مختلفة، وهناك علاقة وثيقة إذاً بين الإعلام والمعرفة، ويساعد العلم بالشيء في إزالة الغموض من أمام المستعلم، بما يقرب من تخفيف الاحتمالات والتساؤلات حول هذا الشيء.

وفي ضوء هذه التعريفات يمكننا القول بأنَّ الإعلام كلمة اصطلاحية تعني إيصال فكرة أو حدث إلى الناس، ويتضمَّن هذا المعنى عناصر عديدة، منها الخبر ومنها المعلومة الثقافية أو المهنية أو حتى التسلية المفيدة، على أنَّ الخبر هو أهم عنصر في هذه العناصر.

اللُّغَةُ – أَهمِيَتُها وَخَصَائِصُها وَوَظَائِفُها

يعدّ الاتصال حقاً طبيعياً كفله المولى (عز وجل) لبني البشر وهذا الاتصال لا يتأتى إلَّا باللغة، تلك اللغة التي لازمت الإنسان طوال مسيرة حياته، وتكمن أهمية اللغة في أنها أهم مميزات الجنس البشري عن غيره من المخلوقات التي يتعامل معها في محيط حياته ووجوده على هذه الأرض، كما تعد وسيلة التفاهم ووعاء الحضارة فضلا عن أنها ترسّخ في عقول أبنائها منذ الصغر أفكاراً وعادات وتقاليد هي جماع الثقافة الخاصة بالمجتمع، ومن ثم فإن نظرة الفرد والشعب إلى الحياة والكون والوجود هي غالباً نابعة من إرثه اللغوي الذي ارتضعه وتربى عليه يوماً بعد يوم[١٠]، لذا كان من الطبيعي أن تحظى اللغة باهتمام الشعوب على امتداد التاريخ الإنساني، وقد تمثل هذا الاهتمام في الآتي[١١]:

١. إنَّ الإنسانَ بطبيعتِهِ ينزعُ إلى التمسّكِ بفكرةِ البقاءِ، على الرغمِ من يقينِهِ بأنَّهُ صائرٌ إلى الفناءِ لا محالةَ، ولذلكَ نجدهُ يسعى إلى أنْ يخلّدَ ذاتَه ويتركَ أثراً بينَ الأجيالِ المتتابعةِ، وكانت الوسيلةُ الأولى التي اهتدى إليها هي تقييدُ ما يريدُهُ باللفظِ واللغةِ.

٢. شاركتِ اللغةُ أدواتٍ أُخَرَ في هذا التوثيقِ، كالصورةِ والرسمِ والنقشِ على الفخارِ والمعادنِ، وكلُّها جهودٌ يصدرُ عنها دافعٌ واحدٌ هو حفظُ الذكرِ الإنسانيّ وما يختلجُ في النفسِ من أفكارٍ ومقاصدَ.

٣. لا تكادُ أُمَّةٌ من الأُممِ إلَّا وقد عُنيتْ بدرسِ لغتِها ووضعِ القواعدِ الضابطةِ لفهمِها وتيسيرِ الإفادةِ منها لمتعلّميها. وعلى الرغمِ من شرفِ اللغةِ ومكانتها، فقد اختلفَ العلماءُ قديمُهم وحديثُهم في تحديدِ مفهومِها وبيانِ حقيقتِها، ومن أشهرِ تلكَ التعريفاتِ ما يأتي[١٢]:

١- تعريفُ ابنِ جِنّي، إذ يقولُ في حدِّ اللغةِ: "أمَّا حدُّها فهي أصواتٌ يُعبّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهم"[١٣]. وذهبَ ابنُ خَلدونَ إلى أنَّ اللغةَ: "عبارةُ المتكلّمِ عن مقصودِه، وتلكَ العبارةُ فعلٌ لسانيٌّ ناشئٌ عن مَلَكةٍ راسخةٍ في العضوِ المخصوصِ بالنطقِ، وهي تختلفُ باختلافِ اصطلاحاتِ الأُممِ"[١٤].

٢- أمَّا اللغويونَ المحدثونَ، فقد نظروا إلى اللغةِ بوصفِها نظاماً صوتياً محدَّدَ الدلالاتِ تتواطأُ عليه جماعةٌ بشريةٌ معينةٌ، ويتخذُه أفرادُها أداةً للتفكيرِ والتعبيرِ والتواصلِ.

٣- كما تُعرَّفُ اللغةُ بأنَّها نسقٌ صوتيٌّ متجذّرٌ في سياقٍ اجتماعيٍّ وثقافيٍّ، له رموزُه ودلالاتُه، وهو نسقٌ قابلٌ للنموِّ والتطوّرِ، خاضعٌ للظروفِ التاريخيةِ والحضاريةِ التي يمرُّ بها المجتمعُ.

ويرى بعضُ الباحثينَ أنَّ تعريفَ ابنِ جِنّي يمتازُ بالشمولِ؛ إذ تضمَّنَ مرتكَزاتٍ أربعةً هي[١٥]:

١- أنَّ اللغةَ أصواتٌ،

٢- وأنَّها أداةُ تعبيرٍ،

٣- وأنَّها تختصُّ بكلِّ قومٍ،

٤- وأنَّها وسيلةٌ للتعبيرِ عن الأغراضِ.

ومن وجهةِ نظري، فإنَّ هذه التعريفاتِ -على اختلافِ صيغِها- تتقاربُ في جوهرِها، ولا تبتعدُ كثيراً عن مفهومِ ابنِ جِنّي. ثم إنَّ تعدُّدَ التعريفاتِ لا يُعدُّ ضعفاً، بل هو صورةٌ من صورِ السعيِ إلى فهمِ اللغةِ، واستكناهِ أسرارِها، ذلكَ أنَّ اللغةَ لم تتشكّلْ في صورتِها المتكاملةِ إلَّا عبرَ مراحلَ زمنيةٍ متتابعةٍ، انتقلتْ فيها من كونِها ظاهرةً نامية في الإنسانِ إلى كونِها قوانينَ وضوابطَ تحكمُ استعمالَها.

وخلاصةُ القولِ: إنَّ اللغةَ ظاهرةٌ إنسانيةٌ راسخةٌ تمتازُ بجملةٍ من الخصائصِ منها[١٦].

١. تُعَدُّ اللغةُ ظاهرةً إنسانيةً خالصةً، يتفرّدُ بها الإنسانُ في التعبيرِ عن حاجاتِهِ، والتواصلِ مع أفرادِ نوعِهِ.

٢. هي ملكةٌ مكتسَبةٌ ينالُها الفردُ من محيطِهِ الأسريّ والاجتماعيّ عبرَ التدرّجِ في الخبرةِ والممارسةِ.

٣. تتكوّنُ اللغةُ في أصلِها من أصواتٍ منتظمةٍ تنتسقُ في وحداتٍ دالّةٍ، يحملُ كلُّ صوتٍ منها معنًى يخصُّه، فمتى استبانَ الملفوظُ واستقامَ نطقُهُ، وضَحَ مدلولُهُ واتّسقَ فهمُهُ.

٤. اللغةُ عرفٌ اجتماعيٌّ اصطلح أفرادُ الجماعةِ على ألفاظِهِ ودلالاتِها.

٥. أنّها ظاهرةٌ متشابهةٌ بين الأمم من حيثُ صدورُها عن جهازِ النطقِ الإنسانيّ، واشتراكُها في طرائقِ البنيةِ والتنظيمِ والتركيبِ.

٦. وهي كذلك متغيّرةٌ بطبعِها، تخضعُ لتحوّلاتِ الزمنِ، وتستجيبُ للمستجدّاتِ الحضاريةِ التي تطرأُ على المجتمعِ في مختلفِ المراحلِ.

٧. ترتبطُ اللغةُ ارتباطاً وثيقاً بالعُرفِ اللغويّ؛ فدلالةُ اللفظِ على معنًى بعينِهِ لا تنشأُ إلا باتفاقِ الجماعةِ عليه، وقد يتعدّدُ مدلولُ اللفظِ الواحدِ متى أذِنَ العُرفُ بذلكَ وجرى عليه الاستخدامُ.

وللغةِ فوقَ ذلك كلِّه، وظائفُ متنوّعةٌ تؤدّيها في حياةِ الفردِ والمجتمعِ، من أهمِّها:[١٧]:

١. الوظيفةُ الاجتماعيةُ للُّغةِ: فهي الأداةُ التي يتفاهم بها الناسُ، ويتبادلون من خلالها معاني حديثِهم، كما تُعَدُّ وسيلةً فاعلةً لمواجهة المواقفِ الحياتيةِ التي تقتضي مهاراتِ الاستماعِ والتحدُّثِ والقراءةِ والكتابةِ.

٢. الوظيفةُ النفسيةُ للُّغةِ: إذ تمكّنُ المتكلّمَ من حسنِ النطقِ وجودةِ التعبيرِ وطلاقةِ الأداءِ، مما يبعث في النفسِ الطمأنينةَ ويولّد الإحساسَ بالعزّةِ والرفعةِ، ويدفعُ إلى مزيدٍ من الثقةِ بالنفسِ والقدرةِ على تجاوزِ مواطنِ الخجلِ والاضطرابِ والخوفِ.

٣. الوظيفةُ الفكريةُ للُّغةِ: وتقوم على الارتباطِ الوثيقِ بين الفكرِ واللغةِ؛ فالفكرُ كامِنٌ في العقلِ، لا يعلمه إلا اللهُ سبحانه وتعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[١٨]، ولئلّا يظلَّ هذا الفكرُ حبيساً في الذهنِ فلا بدَّ له من قالبٍ لغويٍّ يُصاغُ فيه، إذ إن عمليةَ التفكيرِ نفسَها لا تتحقق على وجهٍ دقيقٍ إلا بألفاظٍ دالّةٍ على معانٍ مُحْكَمةٍ تُعين على استيفاءِ بُناهَا.

٤. الوظيفةُ الثقافيةُ للُّغةِ: فحضاراتُ الأممِ تُقاسُ بعمقِ ثقافةِ أفرادِها وبما تختزنُه من موروثٍ حضاريٍّ وقيميٍّ، والحضارةُ في جوهرِها منظومةٌ من النظمِ والقيمِ التي يؤمن بها الإنسانُ ويستمسكُ بها، ومن ثَمَّ يسعى كلُّ مجتمعٍ إلى تنميتها وتطويرها بما ينسجمُ مع تطلعاتِه.

٥. الوظيفةُ التربويةُ للُّغةِ: وتعني أن تدريسَ اللغةِ ليس غايةً في ذاتهِ، بل هو وسيلةٌ لتكوينِ الأجيالِ وتربيتِها، إعداداً يتلاءمُ مع حاجاتِ الحياةِ المتجددةِ وتحوّلاتِ العصرِ.

ويتبيّن من ذلك أن تنوّعَ وظائفِ اللغةِ يرتبطُ ارتباطاً وثيقاً بتطورِ الدراساتِ اللسانيةِ ومجالاتِها المختلفةِ، ولا سيما في ميدانِ العلاقاتِ بين الشعوبِ والمجتمعاتِ، فضلاً عن دورِها البالغِ في تعزيزِ التقاربِ الدولي عبر وسائلِ الاتصالِ الحديثةِ. غيرَ أنّ العنصرَ المحوريَّ في كلّ ذلك إنما هو الإنسانُ؛ لأن اللغةَ في أصلِها لغةٌ إنسانيةٌ قبل كلّ شيءٍ، يدلُّ على ذلك ما تختصُّ به من سماتٍ تفرِدُها عن سائرِ نُظُمِ الاتصالِ، ومن أهم هذه السمات [١٩]:

١. تقوم الملكةُ اللغويةُ عند الإنسانِ على اتحادِ نشاطَيْن متلازمَيْن: استعمالِ الجهازِ الصوتيّ في إنتاجِ الكلامِ، وتشغيلِ الجهازِ السمعيّ في تلقّي الخطابِ؛ فالمتكلّمُ الحقُّ هو مَن يجمعُ بين مهارتَيْ النطقِ والإصغاءِ في نسقٍ واحدٍ.

٢. تتسمُ اللغةُ بكونها اصطلاحاً بشريّاً ونسقاً وضعياً تشتركُ الجماعةُ اللغويةُ في الاتفاقِ عليه، وهي – مع قدرتِها على تسميةِ المحسوساتِ – تمتلكُ طاقةً عاليةً على التعبيرِ عن المجرّداتِ الذهنيةِ وما ينسجُه العقلُ من مفاهيمَ دقيقةٍ.

٣. تتميّزُ اللغةُ بخاصيةِ الانتقالِ الاجتماعيّ؛ إذ تنتقلُ من جيلٍ إلى آخرَ، وتهاجرُ من بيئةٍ بشريةٍ إلى أخرى، محافظةً على جوهرِها، ناميةً بتجاربِ أهلِها، ويظهرُ في بنائها ما يُسمّى بـ(الازدواجيةِ التنظيميةِ)؛ فالصوتُ المفردُ – وإن خَلَا من الدلالةِ – يكتسبُ معناهُ حين ينتظمُ في كلمةٍ ذاتِ وضعٍ اصطلاحيٍّ، فإذا اتصلتِ الكلماتُ بعضها ببعضٍ تولّدت منها تراكيبُ قادرةٌ على أداءِ وظائفَ متنوّعةٍ.

٤. لِلُّغةِ الإنسانيةِ قدرةٌ على الإحالةِ إلى ما يغيبُ عن المتكلّمِ زماناً أو مكاناً، وهي طاقةٌ يتفرّدُ بها الإنسانُ دون غيرِه، كما أن لسانَهُ يمتلكُ قدرةَ الابتكارِ والإنشاءِ، فيولّدُ الألفاظَ والتراكيبَ ويُبدعُ الدلالاتِ.

وترتبطُ اللغةُ بعلومٍ شتّى ارتباطاً وظيفيّاً لا يُوقعُها تحت سلطانِ مناهجِ تلك العلومِ، بل تستعينُ بها لتجليةِ بنيتِها وكشفِ أسرارِها؛ ذلك لأنَّ علمَ اللغةِ يقومُ ابتداءً على مادّتِه الأصليةِ، وهي اللغةُ نفسُها، ويعتمدُ في دراستِها على المنهجِ العلميّ والرؤيةِ الموضوعيةِ الدقيقةِ.

وللغة علاقة مع العلوم الأخرى تتمثل في الآتي[٢٠]:

١. اللغةُ وعلمُ النَّفْسِ: لم تَزَلِ اللغةُ منذ البداياتِ الأولى لوعي الإنسانِ بذاتِه وبالعالَمِ من حولِه، مَوضعَ بحثٍ وتأمُّلٍ لدى العلماءِ والفلاسفةِ، إذ سَعَى كلُّ فريقٍ إلى الكشفِ عن طبيعتِها وحدودِها وخصائصِها. ومع تراكُمِ الدراساتِ وتنامي الاهتمامِ بالسلوكِ الإنساني، أخذَ علماءُ النَّفْسِ يُقْبِلون شيئًا فشيئًا على دراسةِ اللغةِ بوصفِها مظهَرًا دقيقًا من مظاهرِ النشاطِ العقليّ. وتبلورَ هذا الاهتمامُ، في منتصفِ القرنِ العشرينَ، في نشوءِ علمِ نَفْسِ اللغةِ الذي استقلَّ بموضوعِه ومناهجِه، واتَّخذ لنفسِه سماتٍ تُميّزُه عن سائرِ العلومِ المجاورةِ.

٢. اللغةُ وعلمُ الاجتماعِ: ولمّا كانتِ اللغةُ ظاهرةً اجتماعيةً أصيلةً، تُسْتَمَدُّ حياتُها من بيئتِها ومن تفاعُلِ أفرادِ المجتمعِ، وُجِّهتْ إليها عنايةُ علماءِ الاجتماعِ للكشفِ عن طبيعةِ الصِّلاتِ التي تربطُها بالبِنْيةِ الاجتماعيةِ. فاهتمُّوا برصدِ انعكاسِ التعدُّدِ الطبقيّ والثقافيّ في تعدُّدِ المستوياتِ اللغويةِ، وتتبُّعِ الفروقِ اللفظيةِ بين الفئاتِ والطبقاتِ، وتحليلِ أثرِ الحراكِ الاجتماعيّ في انتقالِ الأفرادِ من طبقةٍ إلى أخرى في ما يختارونَه من صيغٍ لغويةٍ وأنماطٍ تعبيريةٍ.

٣. اللغةُ والبيولوجيا: أمّا علاقتُها بالبيولوجيا فتمثّلُ أحدَ أكثرِ ميادينِ الدرسِ اللغويّ إثارةً وعمقًا؛ إذ تتغلغلُ اللغةُ في صميمِ البِنْيةِ الحياتيةِ للكائنِ البشريّ، سواءٌ أكان ذلكَ من خلالِ لغةِ الوراثةِ الكامنةِ في نواةِ الخليةِ، أم من خلالِ البحثِ في الآلياتِ الفسيولوجيةِ التي تُمكّنُ الإنسانَ من الكلامِ والإدراكِ السمعيّ. ولذلك انصرفَ الاختصاصيونَ إلى دراسةِ أجهزةِ النُّطْقِ والسمعِ والجهازِ التنفسيّ بوصفِها مفاتيحَ رئيسةً لفهمِ اللغزِ البيولوجيّ للغةِ البشريةِ.

لقد أعطى الإسلام مصطلح العربية ما يضمر كلمة (اللغة)، العربية التي جاء بها الشعر العربي القديم وأنزل بها القران الكريم، ومنه نفهم مثلا معنى القول "تعلَّموا العربية.."[٢١]، حيث حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، واتخذ مصطلح العربية معنى جعله مرادفاً للنحو على لسان ابن سلام الجمحي[٢٢]: "وكان أبو الأسود أول من استن العربية وفتح بابها، وأنهج سبيلها ووضع قياسها"[٢٣] ، وقد يكون الثعالبي قد عبّر بشكل واضح عن هذا الأمر في وجوب دراسة العربية بقوله: "من أحب الله، أحبّ رسوله المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلّم)، ومن أحب الرسول أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بها ، وثابر عليها وصرف همته إليها"[٢٤].

لقد حبى المولى عز وجل اللغة العربية بوضعية قلما نجدها في اللغات الأخرى فإلى جانب أنها لغة فطرية يتواصل أصحابها بالاكتساب والتعلم فهي لغة كتابه عز وجل والذي حفظه في اللوح المحفوظ إلى يوم الدين، ويتضح ذلك في اختلافها عن تلك اللغات المنتشرة المشهورة كالانجليزية والفرنسية والألمانية وهذا الاختلاف يتجسد في ثلاثة جوانب[٢٥]:

أولاً: تتسمُ اللغةُ العربيّةُ بخصائصَ تجعلُها في موقعٍ فريدٍ بين اللغات؛ فأولاً: تمتدُّ جذورُها في تاريخٍ متصلٍ لا تعرفُ فيه الانقطاعَ أو التحوّلَ النوعيَّ الحادَّ، إذ ظلّتْ لغةُ العصرِ الحاضرِ قادرةً على استيعابِ نصوصِ التراثِ الجاهليّ والإسلاميّ دون مشقّةٍ تُذكر، الأمرُ الذي يضمنُ لها استمرارَ الفهمِ والتذوّقِ عبر الأجيالِ المتعاقبةِ.

ثانياً: ترتبطُ العربيّةُ ارتباطاً بنيويّاً راسخاً بالإسلامِ؛ بدءاً من القرآنِ الكريمِ ثم الحديثِ الشريفِ، مروراً بعلومِ التفسيرِ والفقهِ والسيرِ والتاريخِ وسائرِ فروعِ المعرفةِ الإسلاميّةِ. وهذا الارتباطُ يُشكّلُ «النواةَ» الثقافيّةَ للعربيّةِ الفصيحةِ، ويُعدُّ ركناً لا يمكنُ إغفالُه عند البحثِ في تعليمِها أو تحليلِ واقعِها.

ثالثاً: تمتلكُ العربيّةُ الفصيحةُ رصيداً علميّاً ضخماً في الدرسِ اللغويّ لا يُعرفُ له نظيرٌ في اللغاتِ الأخرى؛ فمنذ القرنِ الثاني الهجريّ توالتْ جهودُ العلماءِ في استقراءِ الأصواتِ والصرفِ والنحوِ والمعجمِ، فتكوّنَ من ذلك تراثٌ علميٌّ هائلٌ يُعدُّ من أدقّ ما صُنّفَ في وصفِ لغةٍ من اللغاتِ.

أَثَر الإِعْلَام فِي اكتِسَابِ المَهَارَاتِ اللُّغَوِيَّة وَتَطْوِيرِهَا

يُجمِعُ أهلُ اللسانِ والبحثِ اللغويّ على حقيقةٍ لا يداخلها الشكُّ، وهي أنَّ اللغةَ ـ بوصفِها نظامًا حيًّا ـ تخضعُ لناموسِ النُّموِّ وسُنَّةِ التغيّرِ المستمرِ. فالتحوّلُ ظاهرةٌ أصيلةٌ في كيانِ كلّ لغةٍ تنشأ في مجتمعٍ بشريٍّ، إذ تبدأُ في طورٍ بسيطٍ أوّلًا، ثم تمضي في مسارٍ متدرّجٍ نحو الاكتمالِ ثانيًا، وخلال هذا الامتدادِ الزمنيّ تتشكّلُ بنيتُها وتتبدّلُ مكوّناتُها تدرّجًا[٢٦].

ولم تشهدِ العربيّةُ، على امتدادِ تاريخِها الطويل، ما تشهدهُ اليومَ من تسارُعٍ لافتٍ في الاتّساعِ والتطوّرِ، وذلك بفعلِ عواملَ متشابكةٍ تقفُ في مقدّمتِها الهيمنةُ المؤثرةُ لوسائلِ الإعلامِ المقروءةِ والمسموعةِ والمرئيّةِ، بما تمتلكه من قدرةٍ واسعةٍ على إعادةِ تشكيلِ القيمِ والمبادئِ والأنساقِ السلوكيّةِ والثقافيّةِ للمجتمعاتِ، ومن بينها الهويةُ اللغويّةُ التي أضحت أكثر العناصرِ عرضةً للتبدّلِ والانزياحِ.

وقد أسهمت وسائلُ الإعلامِ، ولا سيّما المرئيُّ منها، في توسيعِ دائرةِ انتشارِ العربيّةِ وانتقالِها إلى آفاقٍ لم تبلُغْها من قبلُ، إذ تجاوزت حدودَ العالمِ العربيّ إلى فضاءاتٍ إسلاميّةٍ وأخرى عالميّةٍ متعدّدةٍ. وهكذا انفتحت أمامَ الضادِّ ساحاتٌ جديدةٌ تُسهمُ في تجديدِ حضورِها ودحضِ الزعمِ القائلِ بأنَّها لغةٌ فقدت فاعليّتَها في العصرِ الحديثِ.

ومع هذا الاتساعِ، فإنَّ لغةَ الإعلامِ في زمنِ العولمةِ لا تستقرُّ على صورةٍ واحدةٍ؛ إذ يطرأ عليها التغييرُ الدائمُ، وليس كلُّ تغييرٍ يجيءُ في صالحِ الفصيحِ من العربيةِ. ومع ذلكَ لا نستطيعُ الانكفاءَ على الذاتِ أو فصلَ لغتِنا عن التيّارِ الإعلاميّ العالميّ. فمهما اختلفتِ المواقفُ من العولمةِ، فهي تتيحُ إمكاناتٍ كبيرةً لمن أراد تطويرَ لغتِه، بما توفّره الوسائطُ الحديثةُ من حوسبةٍ وإحصاءٍ ومعالجةٍ وخدماتٍ رقميةٍ تتّسعُ مع الزمنِ وتتحسّنُ آفاقُها.

ولأنَّ وسائلَ الإعلامِ تتسلّلُ إلى كلّ بيتٍ، وتصلُ إلى جميعِ الفئاتِ من غيرِ استثناءٍ، فإنّ أثرَها في التكوينِ اللغويّ للأفرادِ بالغٌ، يحملُ وجهَ النفعِ ووجهَ الضررِ معًا. فإذا أحسنّا توجيهَ هذه الوسائلِ ورعايتَها رعايةً لغويّةً واعيةً، كانت أداةً فعّالةً في تعزيزِ الفصيحِ وترسيخِه.

ولعلَّ التجربةَ التلفازيّةَ الرائدةَ في ثمانينياتِ القرنِ الماضي، ممثّلةً في برنامج «افتح يا سمسم»، خيرُ دليلٍ على قدرةِ الإعلامِ في تقويمِ اللسانِ العربيّ لدى الناشئةِ؛ فقد اجتمعَ الأطفالُ ـ على اختلافِ لهجاتِهم وأقطارِهم ـ حول هذا البرنامجِ لأنّه خاطبهم بالعربيةِ المأنوسةِ الواضحةِ، ففهموا مفرداتِه أولًا، ثم قلّدوا أساليبَه ثانيًا، فتهيّأت بذلك بيئةٌ مواتيةٌ لانتشارِ أعمالٍ عربيةٍ مخصّصةٍ للأطفالِ في أنحاءِ الوطنِ العربيّ كلّه. وقد دفع الإنتاجُ الإعلاميُّ التجاريُّ في هذا الاتجاهِ رغبةً في الانتشارِ والربحِ، فلمَ لا تجتمعُ المصلحتان: مصلحةُ السوقِ ومصلحةُ نشرِ العربيةِ السليمةِ؟ بل لِمَ لا تُخضَعُ هذه الموادُّ لرقابةٍ لغويّةٍ ترفعُ عنها شوائبَ اللحنِ والركاكةِ، وتكسوها حلّةَ الفصاحةِ والبيانِ؟

وما تزالُ كثيرٌ من مشكلاتِ العربيّةِ تعودُ إلى أسبابٍ ذاتيّةٍ كامنةٍ في أبنائها الذين قصّروا في صونِ لسانِهم الذي يمثّلُ جوهرَ هويّتِهم الثقافيّةِ ورمزَ وجودِهم الحضاريّ. وإنّ التفريطَ في هذا اللسانِ هو تفريطٌ في التاريخِ والذاتِ والمستقبلِ معًا.

إنَّ أزمةَ العربيّةِ في عصرنا لا تكمنُ في وفرةِ الألفاظِ والمصطلحاتِ الدخيلةِ التي تتسرَّبُ إلى بيئتِها من عالَمِ الحضارةِ الحديثةِ فحسب، بل تتمثّلُ – على وجهٍ أدقّ – في ذلك الانكسارِ النفسيّ الذي أصابَ أبناءَها أمام المدِّ اللغويّ الأجنبيّ المتسارعِ، واستسلامِهم الواضحِ في ميادينِ العلمِ للغاتٍ أُخَرَ تُزاحِمُ العربيةَ في عقرِ دارِها. وقد نشأت – من جرَّاءِ هذا الواقع – فئةٌ لا تُقِلُّ تشدُّداً، تعملُ على إقصاءِ العربيةِ عن فضاءِ العلومِ والتقنيةِ، بزعمِ أنَّ امتلاكَ نخبِ العلماءِ لشيءٍ من الإنجليزيةِ أو الفرنسيةِ كافٍ لإحلالِهما محلَّ لغتِهم، بل ولقطعِ الصلةِ بها قطعاً. ذلك كلُّه يحدثُ على الرغمِ من شبهِ إجماعٍ بين المهتمّينَ بواقعِ العربيةِ ومستقبلِها على ثلاثِ حقائقَ جوهريةٍ:

أوّلُها: أنَّ العربيةَ تمتلكُ القدرةَ الكاملةَ على استيعابِ المعارفِ الحديثةِ، وأنَّ أيَّ نهضةٍ حقيقيةٍ لا يُمكنُ أن تتحقّقَ إلا من خلالِ اللغةِ الأمِّ، ومن ثَمَّ فإنَّ نهوضَ الأمةِ العربيةِ مرهونٌ بنهوضِ لغتِها.

ثانيها: أنَّ إلمامَ معظمِ العاملينَ في الحقولِ العلميةِ بالإنجليزيةِ دون مستوى إتقانِ الناطقينَ بها يجعلُهم يستعملونَ لغةً لا يُحسنونَها حقَّ الإحسانِ، ويُهمِلونَ لغتَهم التي يستطيعونَ عبرَها تحقيقَ أداءٍ أكملَ، فيتضاعفُ الضعفُ بضعفٍ.

ثالثُها: أنَّ مستوى الطلبةِ في الكلياتِ العلميةِ عند تلقّيهم العلومَ بغير لغتهم أضعفُ بكثيرٍ مما لو تلقَّوها بالعربيةِ على أيدي أساتذةٍ يُجيدونَها ويُحسنونَ توظيفَها في التعليمِ [٢٧].

وبناءً على ما تقدَّم يصحُّ لنا القولُ إنَّ الخللَ عائدٌ إلى أهلِ العربيةِ لا إلى العربيةِ نفسِها، وإنَّ تنميةَ المهاراتِ اللغويةِ مرهونةٌ بما نبذلُه من جهدٍ عمليٍّ بين الناسِ وفي مؤسّساتِنا، لا بما نكتبهُ في الأوراقِ ونُحَبّرهُ في المؤتمراتِ. وإنَّ الصلةَ بين اللغةِ والإعلامِ – على أهميتِها – لا تؤتي ثمارَها ما لم يضطلعْ كلٌّ منّا بمسؤوليّتِه، وفقَ رؤيةٍ واعيةٍ وبرامجَ مُحكمةٍ تُسهم في صيانةِ اللغةِ والارتقاءِ بها. كما يتعيّنُ علينا استثمارُ ما يتاحُ لنا اليومَ من طاقاتٍ تقنيةٍ وإعلاميةٍ واسعةٍ لتعزيزِ حضورِ لغتِنا، ودعمِ قدرتِها على أداءِ دورِها في البناءِ الحضاريّ والتطوّرِ الاجتماعيّ، عبر تشريعاتٍ وضوابطَ تمنعُ انفلاتَها وتراجعَها، وتضمنُ لها القيامَ بوظيفتِها كما ينبغي.

وَاقِعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ المُؤسِفِ فِي وَسَائِلِ الإِعَلَامِ

إن المتأمل فيما يُقدَّم في وسائل الإعلام من لغة يجدها مهلهلة، ضعيفة، بعيدة كل البعد عن العربية الفصحى الجليلة، لغة القرآن الكريم، الذي هو أعظم كتاب سماوي، وأرقى منارة لغوية وفكرية. ويعود سبب هذا الضعف اللغوي في الإعلام العربي إلى نقص الاعتزاز باللغة الفصحى، وهو عامل حاسم يؤثر في درجة الاستعداد النفسي نحو العربية، إذ كلما تعمّق الاعتزاز بها، ارتفعت قدرة المتلقي على الانصهار فيها والاحتذاء بها، والعكس صحيح؛ إذ ضعف الاعتزاز يقود إلى التهاون في استخدامها، ويضعف الأثر النفسي للغة على المتلقي.

ولا يخفى على أحد أن إضعاف الاعتزاز بالعربية مرّ عبر خطوات ممنهجة، خطّط لها أعداء الأمة، وساندها بعض المتغربين، ممن سعوا إلى تصوير الإعراب بأنه عائق أمام التفكير السليم، وأن قواعد اللغة الفصحى معقدة، والحل هو اللجوء إلى التسهيل المخل، كالاعتماد على العاميات في الكتابة والحديث، وافتتاح أقسام للأدب الشعبي في بعض الجامعات، وهو ما لقي رواجًا مؤقتًا، لكنه لم يلقَ قبولًا مستمرًا، فمات في مهده. إضافة إلى ذلك، ظهرت الدعوات لكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وتعليم اللغة الإنجليزية في المراحل الابتدائية، وما يترتب على ذلك من تأثير سلبي في عقليات المتعلمين، إذ تأتي هذه الخطوات على حساب ساعات اللغة العربية ومقرراتها الأساسية.

كما أن تعليم العلوم باللغات الأجنبية، بدل العربية، له أثر مباشر على ضعف الاعتزاز باللغتنا، إذ يُرسل رسالة ضمنية بعدم قدرتها على مواكبة العصر وتقدمه، وهذا ما يزرع الانهزامية أمام اللغات الأجنبية، ويشيع الاعتقاد بأن العربية غير صالحة لحمل العلوم الحديثة، وأنها عائق أمام تقدم الأمة، بينما الواقع أن الأمم لا تتقدم إلا بلغتها الأم، والتاريخ القديم والحديث يشهد على هذه الحقيقة.

ومن هنا تبرز الحاجة الماسّة لتعزيز مبدأ الاعتزاز باللغة العربية لدى الإعلاميين والمتخصصين في مختلف العلوم، ليحرصوا على استخدامها بفاعلية، وليكونوا سفراء ووسطاء بين لغات العلوم والعربية، من خلال الترجمة والتعريب المنظم للمعارف والمعلومات، بما يحقق التوازن والارتباط بين اللغتين.

وكل هذه الخطوات، في حقيقتها، ترمي إلى هدف واحد: إبعاد الأمة عن دينها، الذي لا يتم إلا بالقرآن الكريم المنطوق والمكتوب باللغة العربية. فالقرآن يُقرأ بالعربية، وأحد أركان العربية الأساسية هو النحو، وأساس النحو هو الإعراب، ولهذا وجّهت سهام النقد والهجوم إليه، حتى صار عقبة مزعجة أمام المتكلمين، وجعلت من تعلمه تحديًا نفسيًا ومعرفيًا.

ومن آثار الإعلام العربي غير المباشرة، تبني اللهجات العامية والأدب الشعبي، واحتلالها مكان الصدارة، ما أدى إلى إقصاء العربية الفصحى في نفوس النشء والجيل عمومًا، عبر تأثير نفسي سلبي مستمر، مما رسّخ موقفًا عدائيًا نحو لغتهم الأم. ولذا نرى أن الأدب الشعبي واللهجات العامية تحظى بالانتشار والذيوع، وغالبًا ما تتبنى هذه الكتب والصحف والمجلات الشعبية خطابًا يضعف الاعتزاز بالفصحى، ويستند إلى فكرة صراع الجيل مع التراث، وهو صراع يشتهر إعلاميًا ويُروّج له لأجل الشهرة والربح على حساب مصالح الأمة.

وفي المقابل، نجد المجلات والكتب التي تكتب باللغة العربية السليمة قليلة الانتشار، مما يعكس انحطاط الذوق الفني عند شريحة واسعة من القراء، إذ لو تمكّنوا من معرفة قدر الفصحى وأصالتها حق المعرفة، لما ترددوا في تبنيها ونشرها ومتابعتها، فهي – بلا مبالغة – من أغنى اللغات في التعبير الفني والذوق الجمالي، لما تتميز به من خصائص قد لا توجد مجتمعة في بعض اللغات الأجنبية.

وأخيرًا لا ينبغي إغفال أثر ازدواجية اللغة التي أحدثها الإعلام، حيث يتعلم الطالب العربية الفصحى في المدرسة، ثم يخرج إلى بيئة إعلامية مليئة بالعاميات، فتتشكل لديه شخصية لغوية مزدوجة، تُعزز الانفصام بين ما تعلمه وما يعيشه، ويصبح هذا الانفصام عائقًا نفسيًا ومعرفيًا أمام بناء هوية لغوية متماسكة ومستقرة. ويمكننا هنا حصر المساوئ الإعلامية وما تركته من آثار سلبية تجاه اللغة العربية الفصيحة بما يأتي:

أولاً: شيوع الأخطاء النحوية واللغوية في العربية الفصحى المستخدمة ، لعل الناظر لواقع وسائل الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي يجد كثرة الأخطاء اللغوية في الممارسة المهنية ويمكن ملاحظة إذ لا يكاد أحد ينجو من الوقوع في أخطاء لغوية ولا سيما المذيعون ومقدمو البرامج إذ ربما لا تتاح لهم فرصة لمراجعة النشرات قبل إذاعتها، فتجدهم كثيري اللحن والزلل في قواعد النحو العربي، فضلا عن كثرة الأخطاء اللغوية في التراكيب والأساليب العربية، "وهم بذلك يجعلون الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة، والملحون والمعرب، كلّه سواء وكلّه بيانا"[٢٨]، وقد أحصيت بعض النماذج، أذكر منها ما يأتي:

١. لوحظ في بعض الكتابات والخطابات المعاصرة استعمال ألفاظ التوكيد مثل (نفس) و(ذات) في غير مواقعها اللغوية الصحيحة، مما يؤدي إلى خلل في الدقة التعبيرية، ومن الأمثلة على ذلك: "جاء نفس الرجل"، و"رأيتُ ذات المرأة"، حيث وُظِّفت ألفاظ (نفس) و(ذات) للتوكيد بشكل مخالف للقاعدة النحوية. والحقيقة أن ألفاظ التوكيد المعنوي كـ(جميع– نفس– عين– كل...) يجب أن تتبع الاسم المراد توكيده مباشرة، ويشترط في استخدامها أن تُضاف إلى ضمير يعود على المؤكَّد ويناسبه، فيقال: "جاء الرجل نفسه"، و"رأيتُ المرأة ذاتها"، ليكون التوكيد صحيحًا من حيث المعنى والتركيب.

٢. كما أن استعمال لام الاختصاص أو الملك في غير موضعها الصحيح يؤدي إلى ركاكة تركيبية وضعف الأسلوب. وقد انتشر هذا الاستخدام الخاطئ بكثرة في السنوات الأخيرة، حتى أصبح مألوفًا، وكأنه صواب. على سبيل المثال، نقول: "الجنة للمؤمنين" للدلالة على الاختصاص، و"له ما في السموات وما في الأرض" للدلالة على الملك، بينما يقع البعض في الخطأ حين يقولون: "في السن المبكرة للطفل"، والصحيح لغويًا أن يُقال: "في سن الطفل المبكرة"، حيث تكون كلمة (المبكرة) صفة لكلمة (سن) وليست تابعا للطفل مباشرة، وكذلك ترد في نشرات الأخبار أخطاء مثل: "جرى ذلك إثر قتل الجنود الإسرائيليين لاثنين من الفلسطينيين"، والصحيح أن يُقال: "اثنين من الفلسطينيين"، لأن كلمة (اثنين) هي المعمول المضاف الذي يعمل عمل المفعول به. وأيضًا يُقال: "يحمِّلون اللوم الجانب الفلسطيني" بدلًا من الخطأ الشائع "يحمِّلون اللون للجانب الفلسطيني"، إذ إن الفعل (يحمِّلون) يحتاج إلى مفعولين، الأول منصوب والثاني مضاف إليه.

٣. من المسائل النحوية المهمة أيضًا مفاعيل الفعل المضارع عند الجزم والنصب. فالفعل المضارع المرفوع أو المنصوب يصبح مجزومًا إذا اقتضت الضرورة، كما في المثال: "الرئيس يسافرْ غدًا ولن يحضرْ"، أو في التعبير الاستفهامي: "لماذا لا تقرأِ القرآنَ جيدًا؟"، حيث يتم تسكين الفعل المضارع "تقرأ" أحيانًا لمنع التقاء الساكنين، فيظهر مجزومًا.

٤. كما يجب الانتباه إلى عدم حذف التنوين الدال على النصب، أو الألف التي تحل محله عند الوقف، كما في الأمثلة: "ليس صحيحْ"، "كان هذا واضحْ"، "ستعطيه اهتمامْ كبيرْ"، حيث حذف هذه الحركات قد يوقع القارئ في التباس على حركة الإعراب، في حين أنها ضرورية للحفاظ على الصحة النحوية والبلاغية.

٥– ومن القواعد الصوتية التي تتعلق بالوقف، انتهاء الكلمة الساكنة بفتحة قد يوهم البعض بأن فيها خطأً في الإعراب، بينما هي فتحة أداة التعريف في الكلمة التالية، كما في المثال: "قال رئيسَ الوفد (رئيسْ اَلوفد)". وقد تكون هذه الفتحة مضافة لتجنب التقاء الساكنين عند بعض اللهجات التي تعتمد هذه القاعدة الصوتية.

٦. ولا يغفل عن رصد بعض الأخطاء اللغوية المنتشرة في الإعلام العربي، سواء من حيث الأسلوب أو الألفاظ، ومنها: عبارة "لا يلقى أُذنا صاغية"، والصحيح: "مُصْغِية"، لأن الفعل الثلاثي المجرد "صغا" يعني "مال إلى"، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغَتْ قُلوبُكما﴾[٢٩]، أي مالت القلوب برضاها، و﴿ولِتَصْغَى إليه أفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾[٣٠] بصيغة صَغِيَ يَصْغَى. أما لفظ "أصغى" الرباعي فيدل على حسن الاستماع والاهتمام بما يُسمع، ويطلق اسم الفاعل المؤنث "مُصْغِية" على الأذن التي تصغي باهتمام. ومن الأخطاء الشائعة التعبير بـ: "كلنا آذان صاغية"، وهو مثال على تبني استخدام غير دقيق للكلمة.

ومما شاع من الألفاظ خطأ في الاستعمال الإعلامي لفظ (مبروك) للتهنئة والمباركة في الأفراح والمسرات، وهذا اللفظ هو اسم مفعول من الفعل المبني للمجهول (بُرِكَ)، والبروك هو هيأة الجلسة التي يجلسها البعير، فإذا جلس البعير قيل (برك البعير)، وإذا قيل لأحدهم: مبروك عليك، كان المعنى جُلس عليك كما يجلس البعير، واللفظ الصحيح هو (مبارك) وهو اسم مفعول من الفعل الرباعي المبني للمجهول (بورك)، وفعله (بارك)، قال تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣١] .

ومن ألفاظ الإعلام المتداولة بصورة واضحة لفظة (استعمر) ، والمصدر منها (الاستعمار) ، وهو لفظ يطلق غالباً في الاستعمالات الشائعة على كلِّ مَن يقوم باحتلال بلدٍ ما والسيطرة على ثرواته وممتلكاته، غير أنَّ الدلالة اللغوية لهذا المصطلح تخالف الاستعمال الشائع الخاطئ لهذه اللفظة، وقد وردت هذه اللفظة في قوله تعالى : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[٣٢]، قال الطبري: "واستعمركم فيها: جعلكم عمَّاراً فيها، فكان المعنى فيه أسكنكم فيها أيام حياتكم"[٣٣]، ومعنى ذلك أنَّكم تعمرون الأرض من خلال سكنكم فيها، فالسكن دلالة على العمارة.

فالاستعمار لفظ يراد به العمران لا الخراب والدمار، كما يفعل المحتلون عندما يغزون بلداً ما، وهو لفظ شائع في الأوساط الإعلاميّة خطأً، لأنّهُ يستعمل في المفهوم المضاد لما هو عليه, ولا يوجد دليل على أنَّ هذه اللفظة من المتضادات حتى نقطع بصحة استعمالها، وينبغي أن تطلق هذه اللفظة على أهل البلد الذين يقومون بعمارة البلد واستعمارها والحفاظ عليها وعلى ثرواتها، أما الغزاة المحتلون فإذا كان ولا بد أن نطلق عليهم (الاستفعال)، فمن المناسب أن نسمي غزوهم الاستحلال أو الاستهدام أو الاستخراب ، واللـه تعالى اعلم.

ثانِيًا: إنَّ من أبرز الظواهر اللغويّة المؤسفة في العصر الحديث شُيوعَ الكتابةِ بالعاميّةِ في المقالاتِ الصحفيّةِ والإعلاناتِ التجاريةِ، وفي برامجِ التلفازِ والإذاعةِ، حتّى غدَت هذه الظاهرةُ أحدَ أخطرِ الانعطافاتِ التي جَنَتها وسائلُ الإعلامِ على اللغةِ العربيّةِ الفُصحى. فانتشارُ الألفاظِ الدارجةِ في المنابرِ الإعلاميّةِ ليس مجرّدَ تبديلٍ عفويٍّ للأسلوب، بل هو . في حقيقته . ترسيخٌ للعاميّةِ في وعي المجتمعِ من جهةٍ، وطمسٌ تدريجيٌّ للفظِ العربيّ الفصيحِ من جهةٍ أخرى.

ويحتجُّ عددٌ من المحرّرين بأنَّ اللجوءَ إلى العاميّةِ إنما هو من أجلِ الوصولِ إلى الأسهلِ والأوضحِ في مخاطبةِ الجمهور؛ غيرَ أنّ المسألةَ لم تتوقّف عند حدودِ بعضِ التعابيرِ الدارجة، بل تجاوزتْها إلى كتابةِ مقالاتٍ كاملةٍ بالعاميّة، تُنشرُ تحت أسماءِ كُتّابٍ وأدباءَ كبارٍ في العالمِ العربيّ؛ الأمرُ الذي يكشفُ حجمَ الخللِ وتبدّلَ المعاييرِ الجماليّةِ واللغويّةِ.

ثمّ أقدمت بعضُ الصحفِ على استحداثِ صفحاتٍ يوميّةٍ خاصّةٍ بالشعرِ الشعبيّ، تُشادُ بشعرائِه وتحتفي بنصوصِه، حتى أصبح الأدبُ العامّيُّ في نظرِ كثيرين أقصرَ الطرقِ إلى الشهرةِ والظهورِ والانتشارِ. ولم تلبث تلك الصفحات أن تحوّلت إلى مجلّاتٍ واسعةِ التداولِ تهتمّ بما يُسمّى (الأدبَ الشعبيَّ)، فتُهلِّل لكلّ قصيدةٍ دارجةٍ، وتُعلي شأنَها، بينما يظلُّ أدباءُ الفصحى وشعراؤُها في زاويةٍ معتمةٍ لا يلتفتُ إليها إلا القليل. وفي مقابل عشراتِ المجلاتِ الشعبيّةِ اللامعةِ، لا نعثرُ إلا على مجلّاتٍ معدوداتٍ تُعنى بالفصحى وآدابِها، فضلًا عن الفرقِ البَيّنِ في جودةِ الطباعةِ وسعةِ الانتشارِ.

وقد رأى الأديبُ الكبيرُ مصطفى صادق الرافعيُّ رحمهُ الله تعالى قبلَ عقودٍ أنّ ما تنشره الصحفُ من الشعرِ في كثيرٍ من الأحيان لا يعدو أن يكون (صناعةَ احتطابٍ من الكلامِ)، إذ ضعفَ الذوقُ البلاغيُّ، وفقدت اللغةُ موسيقاها، وتخلّت المعاني عن سبكِها الأصيل، وهذه النظرةُ المبكرةُ تُثبت أنَّ محنةَ الفصحى ليست وليدةَ عصرِنا وحدَه، بل هي امتدادٌ لمسارٍ طويلٍ من التراجعِ والتساهلِ[٣٤].

وإنَّ الاقتصارَ في تشخيصِ المشكلةِ على الإعلامِ وحدَه ظُلمٌ للواقعِ وتجَنٍّ على الحقيقة؛ فوسائلُ الإعلامِ ليست سوى مرآةٍ تعكسُ ما يعتملُ في المجتمعِ من تحوّلاتٍ ثقافيّةٍ ولسانيّةٍ. فالتراجعُ الواسعُ في استعمالِ الفصحى ظاهرةٌ مجتمعيّةٌ عامّة، تتجلّى في السياسةِ والفنِّ والملصقاتِ التجارية، وفي أسماءِ المحلّاتِ والمقاهي، بل وفي تفاصيلِ الحياةِ اليوميّةِ كلّها. فإذا كانت بعضُ المجلاتِ العربيّةِ قد حملت أسماءً أعجميّةً كـ(فلاش) و(سوبر

ستار)، وإذا عرضت البرامجُ التلفزيونيّةُ عناوينَ من قبيل (خَلّي أَنْبوكة) أو (حيلهم بينهم) أو (ستار ازغار)؛ فإنّ هذا الامتدادَ ليس خاصًا بالإعلامِ وحده، بل هو جزءٌ من تحوّلٍ لغويٍّ شاملٍ طال المجالاتِ كلَّها بلا استثناء.

ثالثًا: وممّا يفاقمُ المشكلةَ الإكثارُ من المفرداتِ الأعجميّةِ في الخطابِ الإعلاميّ العربيّ، حتى إنّ بعضَ الصحفِ لا تتردّدُ في نشرِ إعلاناتٍ كاملةٍ بلغاتٍ أجنبيّةٍ، بل ظهرت مجلاتٌ وبرامجُ عربيّةٌ تحملُ أسماءً أعجميّةً مكتوبةً بحروفٍ عربيّةٍ. وهذا كلُّه يمثّل خطرًا حقيقيًّا يهدّدُ سلامةَ اللغةِ العربيّةِ، ولا سيّما أنّ كثيرًا من وسائلِ الإعلامِ بات لا يُبالي باللغةِ ما دام الهمُّ الأكبرُ هو الربحُ والعائدُ التجاريُّ. واللافتُ في هذا السياقِ أنّ بعضَ الكتّابِ أخذوا يطعّمون كتاباتِهم بعباراتٍ أعجميّةٍ، بل إنّ فريقًا آخرَ ينشرُ نصوصًا كاملةً بالعاميّةِ الممزوجةِ بمفرداتٍ أجنبيّةٍ، مما يُظهرُ أثرَ الانبهارِ الثقافيّ وضعفَ الاعتزازِ بالهويةِ اللغويّةِ إنّ الأمّةَ العربيّةَ والإسلاميّةَ تواجهُ في عصرِ العولمةِ تهديدًا شاملًا يمسّ أركانَ هويّتها الكبرى: الدينَ، واللغةَ، والثقافةَ، والبنيةَ الاجتماعيّةَ. وبعضُ هذه التحدّياتِ مفروضٌ علينا، غيرَ أنّ كثيرًا منها وليدُ اختياراتِنا، ومن ذلك الإفراطُ في المفرداتِ الأعجميّةِ، التي تُعدُّ بوابةً مهمّةً لِتسرُّبِ الثقافةِ الأجنبيّةِ إلى وعي الفردِ العربيّ. فالكلمةُ تحملُ في طيّاتِها رؤيةً حضاريّةً، فإذا استُبدلت الفصحى بغيرِها بدأ التقمّصُ الثقافيُّ يتشكّلُ في اللغةِ والسلوكِ والمظهرِ، حتى وإن كان المتحدّثُ لا يعرفُ أبجديّاتِ اللغةِ الأجنبيّةِ. وقد أسهمت وسائلُ الإعلامِ الحديثةُ في فتحِ نوافذَ واسعةٍ على ثقافاتٍ أخرى، فصار بعضُ الشبابِ يستمعون إلى الأغنياتِ الأجنبيةِ ولا يفهمونها، ويتّبعون سلوكيّاتٍ دخيلةً لا لشيءٍ إلا لمجرّدِ التقليدِ والانبهارِ. ومن هنا تتأكّدُ الحاجةُ إلى إعدادِ الإعلاميين إعدادًا متوازنًا يجعلُ تعامُلَهم مع اللغاتِ الأخرى منسجمًا مع هويّتهم العربيّة، ليتمكّنوا من أداءِ دورٍ إصلاحيٍّ ينعكسُ أثرُه في المجتمعِ بأسره.

لُغَةُ الإِعلَامِ وَالتَّوْلَمَة

إنَّ وسائلَ الإعلامِ في جوهرِها سلاحٌ ذو حدَّيْنِ؛ فهي إمّا أن ترتقيَ باللغةِ والأداءِ، فتصبحَ مَعينًا تربويًّا ومعرفيًّا يُنمّي الملكاتِ اللغويةَ لدى المتلقّي، وإمّا أن تنحدرَ إلى دركٍ من الابتذالِ والسطحيةِ فتتحوّلَ إلى بؤرةٍ تُهدّدُ الذائقةَ اللغويةَ وتشوّهُ سلامةَ التعبيرِ في المجتمعِ بأسرِه. وإذا أُهمِلَت اللغةُ في منابرِ الإعلامِ، وانحرفت عن مسارِها الفصيحِ الرصينِ، كان ذلك نذيرًا بانفصامٍ خطيرٍ بين الأمةِ وثقافتِها، وبين تراثِها ومعاييرِها القيميةِ، إذ إنّ تراجعَ اللغةِ مقدمةٌ حتميةٌ لتراجعِ الهويةِ واهتزازِ الوعيِ الجمعيّ، ومن ثَمَّ يتشكّلُ فراغٌ لغويٌّ وثقافيٌّ تتسرّبُ إليه اللغاتُ الوافدةُ والثقافاتُ الدخيلةُ لتملأهُ وتعيدَ تشكيلَ الذوقِ والمعرفةِ وفق معاييرَ غريبةٍ عن الموروثِ العربيّ والإسلاميّ[٣٥]، وليس خافيًا أنّ المساسَ باللغةِ أخطرُ من المساسِ بالجسدِ؛ إذ إنّ قتلَ الفكرِ جريمةٌ بالغةٌ في فظاعتِها، تُحوّلُ الإنسانَ إلى موجودٍ بلا هويةٍ ولا انتماءٍ. فالأممُ لا تُهزَمُ من خارجِها إلا إذا كانت قد انهارت من داخلِها أوّلًا، ولم تعد تمتلكُ ما يحصّنُ وجودَها الثقافيَّ والفكريَّ ومع اشتدادِ وطأةِ العولمةِ، وتنامي الانفجارِ المعرفيّ الذي أحدثتْهُ ثورةُ الاتصالاتِ والمواصلاتِ، وانفتاحِ العالمِ عبر الفضاءاتِ الإعلاميةِ اللامحدودةِ، غدا الرجوعُ إلى اللغةِ العربيةِ ضرورةً حضاريةً، لا مجرّدَ خيارٍ ثقافيّ؛ فهي الوعاءُ الجامعُ للمخيالِ العربيّ والوجدانِ الجمعيّ والفكرِ الذي تتكوّنُ منه شخصيّةُ الأمةِ. إنّ العربيةَ — بما هي لغةٌ حيّةٌ، ذاتُ تراثٍ راسخٍ وقابليةٍ متجدّدةٍ — تمثّلُ بوتقةَ الانصهارِ التي تتوحّدُ فيها الرؤيةُ والمعرفةُ، وتتشكّلُ عبرها ملامحُ العقلِ العربيّ[٣٦].وليس اعتمادُ الفصحى لغةً للإعلامِ أمرًا مُتعذّرًا، بل هو مسعى ممكنٌ وميسورٌ إذا أُحسنَ التعاملُ معه. فاللغةُ الإعلاميةُ المطلوبةُ ليست إلا الفصحى الميسَّرةَ التي تجمعُ بين دقّةِ المبنى ووضوحِ المعنى، وبين المرونةِ التي تستوعبُ المستجدّاتِ، والعمقِ الذي يحفظُ لها أصالتَها وقدرتَها على حملِ الأفكارِ والمفاهيمِ الحديثةِ. وهذه الفصحى الحيّةُ قادرةٌ على توليدِ الألفاظِ الجديدةِ وصياغةِ التعابيرِ المناسبةِ التي يقرّها الذوقُ السليمُ والاستعمالُ الشائعُ[٣٧]. وعلى الرغمِ من طاقةِ العربيةِ الهائلةِ على التطوّرِ والانفتاحِ، لا يتوقّفُ دُعاةُ العولمةِ عن الترويجِ لفكرةِ عجزِ اللغاتِ القوميةِ، وإيهامِ الناسِ بأنّ العربيةَ غيرُ قادرةٍ على الاستمرارِ في عصرِ التكنولوجياتِ الحديثةِ، وهذه النظرةُ قائمةٌ على تحيُّزٍ ظاهرٍ يلبسُ لبوسَ التحليلِ العلميّ وهو بعيدٌ عنه، إذ تُتَّهَمُ العربيةُ — ظلماً — بالجمودِ والقصورِ عن الاستجابةِ للمستجدّاتِ التقنيةِ والأدبيةِ والمعرفيةِ. لكنّ التأمّلَ الهادئَ في طبيعةِ العربيةِ يكشفُ بجلاءٍ أنّها لغةُ الفكرِ والوحي، وأنّ ثباتَها في أصولِها لا يتعارضُ مع قابليتِها للتغييرِ في فروعِها، بل إنّ هذه السمةَ هي عينُ القوةِ التي تُيسّرُ عليها أن تواكبَ حركةَ العصرِ وتستوعبَ أدواتِ المعرفةِ الحديثةِ، وأن تُسهمَ — بثرائها — في تعريبِ المصطلحاتِ وتطويرِ الخطابِ الثقافيّ والإعلاميّ على السواءِ[٣٨].

الخَاتِمَةُ (حُلُول وَمُقْتَرَحَات)

إنَّ المسؤوليةَ الملقاةَ على عاتقِ مؤسّساتِنا الإعلاميةِ مسؤوليةٌ جسيمةٌ تتجاوزُ حدودَ الأداءِ التقليديّ إلى ما هو أعمقُ أثراً وأخطرُ تبعةً؛ إذ لا يمكنُ لأيّ مشروعٍ إصلاحيٍّ أن يُؤتيَ ثمارَه ما لم يُدرِك القائمون على هذه الوسائل فداحةَ الأخطاءِ التي تُرتكبُ يوميّاً في حقّ العربيةِ الفصحى، وما لم يستشعروا أنّ الوعيَ بالخطأ هو الركنُ الأساسُ في مسيرةِ التصويبِ اللغويّ. فإذا ما تكمّل هذا الوعيُ، انبغى أن تتحوّل الجهودُ من مجرّدِ

التشخيصِ إلى مرحلةِ المواجهة الجادّة، وذلك بصدِّ زحفِ العاميةِ إلى الصحفِ والمجلاتِ والقنواتِ والمنصّاتِ الرقميةِ، ومنعِ تمكينها من فضاءاتٍ لم تُنشأ إلّا لخدمةِ الفصحى. ومن ثمّ كان لزاماً أن يصدرَ التشريعُ الواضحُ الذي يُجرّمُ التحدثَ أو الكتابةَ باللهجاتِ الدارجةِ في كلِّ ما يُعدُّ خطاباً إعلامياً عاماً، وأن تُلزَمَ وسائلُ الإعلام برفضِ الإعلاناتِ التجاريةِ المصاغةِ بالعاميةِ أو باللغاتِ الأجنبيةِ ما لم تُحَوَّل إلى صياغاتٍ عربيةٍ سليمةٍ تُناسبُ هويةَ الأمةِ ولسانَها. ولن يتحقق ذلك إلا بتكاتفِ الجهودِ الرسميةِ في وزاراتِ الإعلامِ في مختلفِ البلدانِ العربيةِ، بعد أن يشتدَّ وعيُها بحجمِ الخطرِ الذي يستهدفُ اللغةَ العربيةَ، وبضرورةِ أن يُخصّص جزءٌ من الجهودِ الكبيرةِ المبذولةِ في تنقيةِ المحتوى السياسيّ لتنقيةِ المحتوى اللغويّ أيضاً، حفظاً لمكانةِ العربيةِ وصوناً لجلالِها.وفي ضوءِ ما تقدَّم، فإنّ ثمةَ حلولاً وإجراءاتٍ عمليةً لا بدَّ من تفعيلها في الوسطِ الإعلاميّ المعاصر، في زمنٍ تتزاحمُ فيه الحضاراتُ وتتجاذبُ اللغاتُ مواقعَ التأثيرِ والهيمنةِ. ومن أبرز هذه الحلول ما يأتي:

١- إخضاعُ المذيعينَ والمراسلينَ لامتحاناتٍ لغويةٍ دقيقةٍ قبلَ تعيينِهم، تشملُ أبوابَ النحوِ والصرفِ، وقراءةَ النصوصِ غيرِ المشكولةِ قراءةً سليمةً، وضبطَ النصوصِ بالشكلِ التامّ في وقتٍ محدَّدٍ، إضافةً إلى تقويمِ المهاراتِ الأربعِ: فهمِ المقروءِ، وفهمِ المسموعِ، والتحدُّثِ العفويّ الخالي من الأخطاءِ، والكتابةِ المضبوطةِ بالشكلِ من غير إعدادٍ مسبقٍ. فكثيرٌ من العاملين في الحقلِ الإعلاميّ يُظهرون براعةً في قراءةِ نصٍّ مُعَدٍّ، غير أنّهم يتعثّرون عند الحوارِ المباشرِ، فيقعون في أخطاءٍ نحويةٍ فادحةٍ، أو ينحدرون إلى العاميةِ، أو يتلعثمون ويُكثرون من الوقفاتِ غيرِ المبرَّرةِ، ممّا يَسِمُ الأداءَ بالضعفِ والاضطرابِ.

٢- إنشاءُ وحدةٍ لغويةٍ متخصّصةٍ تضمُّ نخبةً من المراجعينَ والمدقّقينَ القادرينَ على متابعةِ نشراتِ الأخبارِ والبرامجِ والأعمالِ المترجمةِ، ورصدِ الأخطاءِ الواردةِ فيها، والتواصلِ مع المسؤولينَ عنها لإبلاغِهم بالتصويباتِ اللازمةِ مشافهةً وكتابةً، على أن يُتاحَ استشارتُهم عند إعدادِ النشراتِ والحواراتِ والتقاريرِ قبل بثّها.

٣- تقديمُ دروسِ تقويةٍ إلزاميةٍ في اللغةِ العربيةِ لمذيعي الإذاعةِ والتلفزيونِ ومقدّمي البرامجِ والمترجمينَ، يُراجعونَ فيها مسائلَ النحوِ والصرفِ وأساليبَ التعبيرِ، ويطّلعونَ على التطبيقاتِ العمليةِ التي تُسهمُ في صقلِ ملكاتهم اللغويةِ.

٤- إنتاجُ المصطلحاتِ العربيةِ الحديثةِ وتعزيزُ حضورِها في الإعلامِ، مع متابعةٍ دائمةٍ لجهودِ المجامعِ اللغويةِ ومراكزِ التعريبِ، وتوظيفِ ما تُنتجه من مفاهيمَ توظيفاً فعّالاً، ليغدو الإعلامُ جسراً لانتشارِها بين الجمهورِ، ولتُصبح العربيةُ قادرةً على مواكبةِ التطورِ العلميّ والتقنيّ من دون الحاجةِ إلى ألفاظٍ دخيلةٍ.

٥- استثمارُ الثورةِ الإعلاميةِ والبثِّ الفضائيّ في خدمةِ الوحدةِ اللغويةِ، وتعزيزِ المشتركاتِ بين أبناءِ الأمةِ، والابتعادِ عن الدعواتِ التي تسعى إلى تفتيتِ النسيجِ اللغويّ وتحويلِهِ إلى لهجاتٍ متباينةٍ تُعمّقُ الفُرقةَ وتُضعفُ التواصلَ الثقافيّ.

٦- تدريسُ مادةٍ جامعيةٍ إلزاميةٍ لطلبةِ اللغةِ العربيةِ والإعلامِ، واختياريةٍ لغيرهم، تُعنى بالأخطاءِ الشائعةِ عرضاً وتحليلاً وتطبيقاً، إذ تمثّل هذه الأخطاءُ خلاصةَ الإشكالاتِ التي لم تُفلح المدرسةُ أو الجامعةُ في إزالتِها، والتركيزُ عليها يسهمُ – بلا ريبٍ – في معالجةِ كثيرٍ مما اعترى الأداءَ اللغويَّ من ضعفٍ وتراجعٍ.

٧- التأكيد على أن اللغة العربية من الثوابت العربية و الإسلامية، لذا يجب الدفع باللغة العربية لتكون في مصاف اللغات الدولية وأن تحتل مرتبة متقدمة.

٨- ضرورة التنسيق بين وزراء الإعلام والثقافة المسلمين وتفعيل الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات الإسلامية في هذا الصدد.

٩- ولا ننسى أهمية مخاطبة الطفل، وغرس محبة لغته والحفاظ عليها في نفسه منذ نعومة أظفاره، ويتحقق هذا بتقديم برامج تعليمية تراعي سن الطفل وميوله وقدراته العقلية، كذلك بتعديل المناهج التي تمثل الثغر الأول الذي ينفذ منه بغض العربية إلى نفس الطفل.

١٠- إصدار نشرة بأهم الأغلاط الملحوظة، مع تصويبها.. وتعميمها على العاملين الرئيسيين في الإذاعة والتلفزيون والإعلاميين بمختلف اختصاصاتهم.

ليس معنى كل ما سبق أنه لا بد أن يكون كلّ أفراد المجتمع بلغاء فصحاء، فهذا ممّا لا قبل لأيّ مجتمع به، لكن الواجب أن يلمّ كلّ منا بأهمّ القواعد الضرورية، التي تمكّنه من الحديث والكتابة بلغة سليمة من الأخطاء الفاحشة، والهفوات الشنيعة، التي لا عذر لأحد في الوقوع بها. كذلك فإنّ اللغة تعدّ من أهمّ خصائص وسمات أيّ أمّة، وهي كذلك صمّام أمان بالنسبة لها، فإن انهارت دعائم اللغة فاقرأ على الأمّة السلام! لأن اللغة كما يقول الرافعي رحمه الله تعالى: "هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها" فإن تحول الشعب عن لغته فإنما هو "التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب أمته، انقطع من نسب ماضيه"(٣٩).

مَصَادِر البَحْث

١- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الفكر- ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٢- أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، د. راتب قاسم عاشور، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠٠٣ م.
٣- الأسس الإعلامية في التصور الإسلامي، للدكتور متولي يوسف حسن، مجلة الأزهر، العدد السادس، مصر ، ١٩٨٤ .
٤- أصول الإعلام الإسلامي، للدكتور إبراهيم إمام، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٧.
٥- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء في العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، ط٥، بيروت ، لبنان ، دار العلم
٦- الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، عبد العزيز شرف ، دار قباء ، القاهرة ،١٩٩٨م.
٧- الإعلام العربي وإنهيار السلطات اللغوية ، د.نسيم الخوري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ،
٨- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر(ت٣١٠هـ)، دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ.
٩- الثقافة العربية والشباب، علي ليلة ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٣م.
١٠- الخصائص، لأبي الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار ،عالم الكتب ، بيروت ،د.ت.
١١- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر دار المعارف بمصر ،د.ت.
١٣- العربية لغة العلوم والتقنية، د. عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦ م.
١٤- علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية ، د. عبده الراجحي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، د.ت.
١٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر ، بيروت، ط١، (د.ت).
١٦- اللغة العربية: مشكلاتها وسبل النهوض بها، د. السيد خضر ، ط١، بدون دار نشر، بدون مكان نشر،٢٠٠٣م.
١٧- اللغة العربية: مناهجها وطرائق تدريسها، د. طه علي حسين الدليمي ود. سعاد عبد الكريم عباس الوائلي، ط١،دار الشروق للنشر والتوزيع،
١٨- اللغة العربية وتحديات العولمة، عبدالله أبو هيف ، المجلة العربية للثقافة،ع٤٣، س٢١،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس
١٩- مشكلات حياتنا اللغوية ، أمين الخولي، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٧.
٢٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(ت٧٧٠هـ)، دار النشر:المكتبة العلمية – بيروت
٢١- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت ، لبنان،
٢٢- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٤ .
٢٣- موسوعة الإعلام والصحافة ، لطلعت همام ، دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٨.
٢٤- الهوية والقلق والإبداع، محمد إبراهيم عيد، دار القاهرة ، القاهرة،ط١ ،٢٠٠٢م.
٢٥- وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٤م.

---

[١]() مقاييس اللغة، أحمد فارس بن زكريا، مادة (علم) :١٠٩/٤.

[٢]() أساس البلاغة، الزمخشري :٤٣٤.

[٣]() لسان العرب، ابن منظور، مادة (علم) : ٤١٦/١٢.

[٤]() أظن أنَّ مساواة العلم بالمعرفة أمر فيه نظر؛ لأنَّ المعرفة والدراية لا تأتي إلَّا بعد جهل وذلك لا يُشتَرَطُ في العلم، ولذلك لم يرد في القرآن الكريم (عرف الله) أو (درى الله) فعلمه سبحانه أزليٌّ لم يأت بعد جهل، والعلم قد يأتي بالاكتساب من غير سعي لطلبه، وذلكَ مثلما قال تعالى في حق العبد الصالح (الخضر): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ سورة الكهف:٦٥.

[٥]() المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي: ٤٢٧/٢.

[٦]() الأسس الإعلامية في التصور الإسلامي ، الدكتور متولي يوسف حسن: ٩٧.

[٧]() أصول الإعلام الإسلامي، الدكتور إبراهيم إمام: ١٤.

[٨]() المصدر نفسه.

[٩]() موسوعة الإعلام والصحافة، طلعت همام: ٧.

[١٠]() اللغة العربية: مشكلاتها وسبل النهوض بها، د. السيد خضر: ٧-٨.

[١١]() المصدر نفسه: ١٩-٢٠.

[١٢]() اللغة العربية: مناهجها وطرائق تدريسها، د. طه علي حسين الدليمي ود. سعاد عبد الكريم عباس الوائلي: ٥٧.

[١٣]() الخصائص، ابن جني : ٣٣/١.

[١٤]() مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: ٥٤٦

[١٥]() اللغة العربية: مشكلاتها وسبل النهوض بها :٢٤.

[١٦]() اللغة العربية: مناهجها وطرائق تدريسها : ٥٨.

[١٧]() المصدر نفسه :٥٨ -٥٩ .

[١٨]() سورة غافر: ١٩.

[١٩]() أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، د. راتب قاسم عاشور: ٢٤-٢٥.

[٢٠]() أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق : ٣٩-٤١ .

[٢١]() نقل هذا القول عن الخليفة عمر بن الخطاب ، طبقات النحويين واللغويين : ١٣ .

[٢٢]() أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي ، من أهل البصرة وكان من أئمة اللغة والأدب ، ينظر الأعلام للزركلي:١٤٦/٦.

[٢٣]() طبقات فحول الشعراء :١٥/١.

[٢٤]() فقه اللغة وسر العربية : ٦-٧.

[٢٥]() علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية : ٨٦-٨٧.

[٢٦]() مشكلات حياتنا اللغوية : ٤٦ .

[٢٧]() العربية لغة العلوم والتقنية : ٣٦٦ .

[٢٨]() وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي: ٣/ ٣٧٤ .

[٢٩]() سورة التحريم : ٤.

[٣٠]() سورة الأنعام : ١١٣.

[٣١]() سورة الأنعام : ١٥٥.

[٣٢]() سورة هود:٦١.

[٣٣]() تفسير الطبري: ٣٦٨/١٥.

[٣٤]() ينظر: وحي القلم : ٣/ ٣٧٤.

[٣٥]() ينظر: الثقافة العربية والشباب، علي ليلة: ٥٤.

[٣٦]() ينظر: الهوية والقلق والإبداع : ٦٤، و الإعلام العربي وإنهيار السلطات اللغوية:٤٣١.

[٣٧]() ينظر: الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال : ١٠٧-١٠٨.

[٣٨]() ينظر: اللغة العربية وتحديات العولمة، المجلة العربية للثقافة،ع٤٣ ، س٢١ : ٤١٨.

(١) وحي القلم : ٣٢/٣-٣٣.